

الحلاج في الأدب العربي

د . سامية عليوي

جامعة قالمة، الجزائر

كثيرة هي الشخصيات التي كابدت الويلات في سبيل الفكرة، وكثيرة هي الأرواح التي أزهقت في سبيل أن تغير وضعاً، خاصة تلك التي ارتبطت بالديانات أو بالمحظورات. وكثيرة هي الأسماء التي أضحت رموزاً للمعاناة، غير أننا سنقصر حديثنا في هذه الورقات على شخصية الحلاج الذي كان ضحية مجتمع يتغنى بحرية المعتقد، ويحرم فيه التمثيل بالمقتول، هذا المجتمع الذي خنق صوت الحلاج ليقضي على ثورته التي عجزت العقول عن إدراكها آنذاك، وليحد من أتباعه في زمن أضحى فيه الخليفة مالك الأرض والعباد؛ فمن يكون الحلاج؟ وفيما تمثلت ثورته؟ وكيف أضحى أسطورة أدبية؟

أولاً - الحلاج شخصية تاريخية:

هو الحسين بن منصور الحلاج، ولد في البيضاء في فارس سنة 244 هـ، ونشأ في واسط بالعراق، واتصل بكثير من الصوفية وتتلذذ على الجنيذ، وتنقل كثيراً في البلاد المختلفة ليتصل بالصوفية، وحج إلى مكة ثلاث مرات، وفي سنة 267 هـ، أُلقي عليه القبض وسُجن، ولكنه فرّ، وأُعيد إليه ثانية سنة 301 هـ، وظلّ به ثماني سنوات حتى عام 309 هـ، فحوكم، وحُكم

بونة للبحوث والدراسات، العددان: (10/9): يناير (جانفي) 2008م - كانون الأول (ديسمبر) 2008م

عليه بالإعدام لمقالته الشهيرة : « أنا الحق » التي يعلن بها مذهبه بالحلول...،
حلول الربّ بالعبء، تلك المقالة الخطرة في الدين والسياسة.⁽¹⁾

ولعلّ سبب قتله يعود بالدرجة الأولى إلى أسباب سياسية، فقد كان بين
الحلاج والقرامطة - أعداء الخلافة - صلات سرّية، كما أنّ الحكومة خشيت
من كثرة أتباعه ومريديه الذين التفّوا حوله وآمنوا به، وكان لهم كالمسيح
بالنسبة إلى أتباعه وحوارييه. وهذا ما يهدّد كيان الأمة الإسلامية، ويبذر
الشقاق بها.⁽²⁾

وقد قال الصوفيّ من مريديه وأتباعه - الذين تكاثروا جدّاً بعد موته
واعتقدوا بأنّه "شهيد الحق" - أنّ الحلاج قد باح بأسرار الذات الإلهية
وعرّض على العامّة مكنونات حبه الإلهي ممّا تقصر عقول النّاس عن إدراكه
وفهمه. فعن إبراهيم بن فاتك قال: « لما أتى الحسين بن منصور ليُصلب
ورأى المسامير ضحك حتّى دمعت عيناه ثمّ صلّى ركعتين وقال: (اللهمّ إنّك
المتجلّي: عن كلّ جهة، المتجلّي من كلّ جهة، بحقّ قيامك بحقّي، وبحقّ
قيامي بحقّك، وقيامي بحقّك يخالف قيامك بحقّي، فإنّ قيامي بحقّك ناسوتية،
وقيامك بحقّي لاهوتية، وكما أنّ ناسوتيتي مستهلكة في لاهوتيتك غير
ممازجة إياها، فلاهوتيتك مسؤولة عن ناسوتيتي غير مماسّة لها. وبحقّ قدّمك
على حدثي، وحقّ حدثي تحت ملابس قدّمك أنّ ترزقني شكر هذه النعمة التي

(1) قمر كيلاني: في التّصوّف الإسلامي - مفهومه وتطوّره وأعلامه-، ص: 110.

(2) المرجع السابق، ص: 110 .

أنعمت بها عليّ حيث غيّبت أغباري عما كشف لي من مطالع وجهك،
وحرمت عليّ غيري ما أبحث لي من النظر في مكنونات سرّك، هؤلاء
عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصّباً لدينك وتقرباً إليك، فاغفر لهم، فإنّك لو كشفت
لهم ما كشفت لي ما فعلوا ما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما
ابتليت بما ابتليت، فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد .) ثمّ سكت
وناجى سرّاً، وأعاد قوله:

« يا مُعين الفناء عليّ أعني على الفناء »

فتقدّم أبو الحارث السيّاف فاطمه لطمة هشّمْ أنفه وسال الدّم على شبيهه،
فصاح الشّبلي ومزّق ثوبه، وغشّي على أبي الحسين الواسطي وعلى جماعة
من الفقراء المشهورين، وكادت الفتنة تهيج، ففعل أصحاب الحرس ما
فعلوا.⁽¹⁾

وللحلاج سيرة شعبية طبعت في مطبعة التّرقّي بدمشق عام 1939 م،
قام "ماسينيون" بنشرها في مجلّة الدّراسات الشّرقية 1954 م (م3،
عدد422)، وأعاد نشرها رضوان السّح (دار صادر، بيروت) .
وآثار الحلاج كثيرة فيها الأحرف المُحدثة والأزلية، والأسماء الكلّية،
والأصول والفرع، وسرّ العالم المبعوث، والعدل والتّوحيد، وعلم البقاء

(1) يُنظر كلٌّ من:

- ابن السّاعي: أخبار الحلاج، ضمن (الموسوعة الشّعرية)، قرص مضغوط.
- محمد عبد الحميد الحمد: الرّهبة والتّصوّف في المسيحية والإسلام، ص: 183-
191.

بونة للبحوث والدراسات، العددان: (10/9): يناير (جانفي) 2008م - كانون الأول (ديسمبر) 2008م

والفناء، ومدح النبي، والمثل العليا، وأقربها « الطّواسين»، نشره "ماسينيون" وعلّق عليه.⁽¹⁾

محاكمة الحلاج:

كانت الحالة السّياسية عام 309 هـ على أسوأ ما تكون، نتيجة للأهواء الشّخصية في استلام الوزارة، ثمّ جَبِيَ الضّرائب واضطراب الأزمة المالية، وحدوث الفتن في مناطق متعدّدة. ولهدف سياسي ما، أثار رئيس الوزراء "حامد" قضيّة الحلاج، وحُكِمَ عليه بالإعدام محتجّاً بمذهب الحلاج في الاستغناء عن الحجّ، إذ وجدوا للحلاج كتاباً فيه أنّ الإنسان إذا عجز عن الحجّ فليعتمد إلى حجرة في بيته فيطهرها ويطيّبها، ويطوف بها، ويكون كمن حجّ البيت، وبذلك كان شبيهاً بالقرامطة الثّائرين الذين أرادوا هدم الكعبة، فاتّهموه بأنّه داعية للقرامطة .

وفي الثّالث والعشرين من ذي القعدة، تهيّأت الحكومة لإعدام الحلاج، وظلّ مساء يشجّع نفسه على الاستشهاد، ويتوقّع لنفسه البعث المجيد. وفي الرّابع والعشرين، بباب خراسان بحضرة مجلس الشّريعة وأمام كثير من النّاس جيء بالحلاج وضرب ألف سوط وقُطعت يداه ورجلاه وصُلِب، وهو لا يزال حيّاً. ولم يصدر الأمر بإعدامه إلّا في صبيحة اليوم الثّاني. وجاء رئيس الوزراء حامد ببعض النّاس، وقالوا: نعم اقتله، ففي قتله صلاح المسلمين، ودمه في رقابنا. وسقطت رأسه وصُبّ على جذعه الزّيّت، وأُحرق

(1) صلاح عبد الصّبور: مأساة الحلاج.

بالنار، وألقي برماده من أعلى المئذنة في الدجلة. وروى البعض الآخر قوله: إلهي إذا تتوّد إلى من يؤذك، فكيف لم تتوّد إلى من يؤذى فيك؟، وقال بشهادة التّوحيد للإسلام: حسب الواحد أفراد الواحد له.⁽¹⁾

وقد استمرّت محاكمة الحلاج تسع سنوات، وأثناء سجنه كتب رسالته وقد تمّت هذه المحاكمة في منصّة مرتفعة في بغداد، كبرى عواصم العالم المتمدّن في ذلك الوقت، وكذلك حوكت جان دارك الفرنسية.

ثانيا - الحلاج أسطورة أدبية :

تكاد حياة الحلاج تكون أسطورة من الأساطير، فمن الصّعب علينا أن نتصوّر شخصا عاديا يقوم بدعوة روحية كبرى كدعوة الحلاج، وأن يشطح بصوفيّته شطحات واسعة أراد بها أن تشمل الإنسانية كلّها، وقد امتاز الحلاج عن أكثر المتصوّفة بخروجه على العُرف الاجتماعيّ وحتىّ الدينيّ، وأراد أن يسيّر الحياة وفق هُداة الرّوحي، كما بيّن ذلك من خلال تجربته السّياسية زمن المقتدر، ولكنه أخفق، وقصّة موته كانت عجيبة في الإسلام.

ولقد كانت شخصية الحلاج أوفى شخصيات تراثنا الصّوفي حظّا في اهتمام المستشرقين وعنايتهم، فقد وقف عليه المستشرق الفرنسيّ الكبير "لوي ماسينيون" الشّطر الأعظم من حياته، وكتب عنه كتابا رائعا وعدّة مقالات

(1) عبد الوهّاب البيّاتي: الأعمال الكاملة، ج 2 .

الأخيرة (طاسين الأزل) التي كان بطلاها محمّد صلّى الله عليه وسلّم وإبليس.

بونة للبحوث والدراسات، العددان: (10/9): يناير (جانفي) 2008م-كانون الأول (ديسمبر) 2008م

وأبحاث، لعل أشهرها البحث الذي كتبه بعنوان « المنحى الشخصي لحياة الحلاج شهيد الصوفية في الإسلام »، وكان لهذا الكتاب تأثير كبير على شعرائنا الذين تأثروا بالحلاج. كما نشر "ماسينيون" عدة أعمال للحلاج منها ديوانه، وكتابه «الطواسين»⁽¹⁾ وكتاب « أخبار الحلاج »

الذي جمع مجموعة من أخبار الحلاج وأقواله، كما نشر أربعة نصوص تناولت حياة الحلاج جمعها من كتب التاريخ والطبقات، ونشرها بعنوان « نصوص أربعة Quatre Textes »، وقد قدم لكل هذه الأعمال بمقدمات ضافية. وتابع "ماسينيون" في هذا الطريق، عدد من المستشرقين الذين كتبوا عن التصوف الإسلامي.

1 - الحلاج في الأدب الفارسي:

كانت كلمة الحلاج « أنا الحق »، التي يعني بها « أنا الحقيقة المطلقة » أي « الله »، سببا في إعدام ذلك المتصوف ببغداد عام 922 م، فقد أسيء فهمه، وفُهمت كلمته تلك على أنها تعبير عن تعال متعاضم للذات، بحيث أثار بذلك الشكوك في إيمانه، بحلول الذات الإلهية في النفس البشرية. وقد اعتبره بعض معاصريه ساحرا خطرا استطاع أن يجعل له عددا من الأتباع الذين يسيطرون على عقولهم، فينقادون خلفه، بينما استاء خصومه السياسيون من

(1) صدر في باريس عام 1913 م، وهو الأثر الوحيد الباقي من آثار الحلاج التي تجاوزت أربعين كتابا، ويشتمل « الطواسين » على أربعمئة فقرة منثورة، ومائة وخمسين قطعة شعرية.

دوره في خطة مرسومة لإصلاح الضرائب، ورأى رجال الدين في فكرته حول إسقاط الفرائض تعبيراً عن كفره ودليلاً على إلحاده، على الرغم من أنه أورد في كتابه « الطّواسين » أجمل أنشودة يمتدح فيها الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم. كما أن كبار المتصوفين في جميع العصور قد أبدوا إعجابهم الشديد بحبه لله عز وجل.

وزيادة عن المتصوفة ورجال الدين، فقد شغلت شخصية الحلاج الشعراء على مرّ العصور، إذ نجد في أدب العصر الوسيط خطأ يزداد وضوحاً في العصر الحديث، إذ يُعتبر الحلاج ثائراً في وجه ضيق الأفق الفكري لدى المتحجرين من رجال الدين.

ويظهر الحلاج في تطوّر يثير الاهتمام في شعر إيران وشبه القارة الهندية لفترة ما بعد العصر الوسيط كأنسان رفض السكولاستيكية المتحجرة بسبب تجربة اتصاله المباشر بالله عز وجلّ وحبه الخالص له، ممّا أدّى إلى قتله. ولكن أليس من الصحيح أنه عندما يرى الإنسان الحقيقة ويجدها، يكون مستعداً للموت في سبيلها ؟ وقد قال الشاعر الهندي "ميرزا أسد الله غالب"

(1797 - 1869 م) في بيت فارسي مشهور ما معناه :

« لن يكون السرّ الكامن في القلب ، موعظة جوفاء

قد تفصح عنه تحت المشنقة وتعجز وأنت على المنبر »

وهذا يعني أنّ الشاهد الحقيقي لجلالة الله يجب أن يصبح شهيداً، وأن

يدفع حياته ثمناً لأعلى تجربة وهي الاتصال بالحقيقة المطلقة.

كما تحدّث عنه الشاعر الفيلسوف المسلم "محمّد إقبال" (1877 -

1938 م) في ملحمة الفارسية الخيالية « جاويد نامه » أي « كتاب الخلود

بونة للبحوث والدراسات، العددان: (10/9): يناير (جانفي) 2008م - كانون الأول (ديسمبر) 2008م

« فيصوّره كمفكرّ مبدع، حاول بثّ الحياة في معاصريه الموتى روحياً وفكرياً، أي حاول منحهم إيماناً جديداً، وتحريرهم من التقليد واجترار القواعد المتوارثة الخالية من كلّ روح، فيقول "إقبال" في ما معناه:

« وما فعلتُ ستفعله أنت أيضاً - حذار !

ستحمل البعثَ للميّتّين - حذار ! »

إنّها ظاهرة تبعث على الاهتمام أن يحتلّ الحلاج - النّاقّد المناوئ بين عدد ضئيل من أمثاله في تاريخ الفكر الإسلامي - مكانة مرموقة بين النّخبة الفكرية في صفوف المسلمين في العقود الأخيرة.

2 - الحلاج في الأدب العربي:

لقد صار الاستلهام التّراثي في أدبنا الحديث متواتراً لا تكاد أمثلته تقع تحت الحصر، غير أنّ السّمة الغالبة في عمليات الاستلهام الأدبي المعاصر للتّراث، هي (استحضار) شخصيات بعينها من مخزون الذاكرة، ونفخ النّار في رمادها لتعود محلّقة في سماء الأدب المعاصر، بأجنحة عنقاء. وقد تمّ استلهام شخصية الحلاج في مختلف الأجناس الأدبية تقريباً خاصّة المسرح والشعر.

أ - المسرح:

من الأعمال المسرحية التي تناولت شخصية الحلاج مسرحية « الحلاج » لـ "عدنان مردم"، الذي يقول في التّوطئة التي كتبها للمسرحية: « حاولتُ في مسرحيّتي هذه أن أنصف الحلاج فيما له وما عليه دون تحيُّز، وبيّنتُ بها أنّ سبب قتل الحلاج يرجع إلى أسباب سياسية بحثة، فقد كان ثائراً على نظم

مجتمعه، وكان على اتصال بالقرامطة، الأمر الذي جعل أولي الأمر من العباسيين يخافون شره، ولم يروا وسيلة للتخلص منه إلا رميه بتهمة الكفر والزندقة»⁽¹⁾ وهو الجانب نفسه الذي حرص المستشرقون على إبرازه. ويؤكد الشاعر في توطئته تأثره بجهودهم في إلقاء الضوء على حياة الحلاج، ثم يلخص الشاعر - على لسان الحلاج في محاكمته - جوهر دعوته ومحنته معا، إذ يقول متحدّثا عن الرسائل التي كان يرسلها إلى أتباعه من ذوي السلطان، والتي تحمل بعض توجيهاته الإصلاحية:

« ماذا يفيد إذا دعوتُ إلى الصّلاح بها جهارا

من قال إنّ الدّينَ غضّ الطّرفَ ذُلًّا وانكسارا »⁽²⁾

وحين يسأله القاضي عن سبب فتنته الجماهير وتمردّها وثورتها،

يجيب:

« ظلمُ الرّجالِ هو الذي جرّ الرّجالَ إلى الشّقاء

لو أنصفَ الحكّامُ لم تطرفَ عيونٌ بالبكاء »⁽³⁾

فقد جعل "عدنان مردم" الحلاج صورة مثالية نموذجية لرجل الفكر الذي يناضل من أجل إيصال مبادئه وأهدافه، ويصوّر من خلال هذه الشخصية طابع الحرص على المبدأ مهما كانت أدوات الترغيب والترهيب، والتمسك بالقيم. فالحلاج يتصدّى للسلطان الظالم، ويطلق صيحة الثورة في وجه أعداء

(1) عدنان مردم: مسرحية الحلاج، التوطئة، ص: 11-12.

(2) المصدر السابق، ص: 119 .

(3) المصدر نفسه، ص: 120 .

الخير والحقّ والفضيلة من غير خوف أو تردّد، فهذا هو يجيب صاحب الشرّطة وهو يسأله مستغربا : « أوّ ما جرّعت من الرّدى، وحذرت من ريب اللّياالي ؟ »، بقوله:

« يخشى المنية آثم كره الحقيقة عن ضلال

في الموت ما تشدّ الأنام من العدالة والكمال »

ويتكرّر المشهد ذاته مع الرّمز الأنثوي (النموذج) رابعة العدوية دائما ليؤكد "عدنان مردم" على الفكرة التي يسعى إلى توصيلها للقارئ، وهي الحرص على المبدأ والتمسك بالقيم مهما كانت المغريات.

كما استلهم هذه الشخصية أيضا الشاعر "صلاح عبد الصبور" في مسرحية شعرية بعنوان « مأساة الحلاج »⁽¹⁾ التي يعترف فيها صراحة بتأثره بمقال "ماسينيون" عن (المنحى الشخصي لحياة الحلاج)، ثم بكتاب «أخبار الحلاج» الذي حقّقه "ماسينيون" وعلّق عليه مع "بول كراوس".⁽²⁾

وقد حاول الشاعر في هذه المسرحية أن يسقط ملامح مسيحية على شخصية الحلاج، ونلمس ذلك في أكثر من موضع في المسرحية، فهو حين يتحدث إلى الجماهير يستخدم معجما قريبا من معجم المسيح في مواضعه:

« إليّ إليّ .. يا غرباء .. يا فقراء .. يا مرضى

كسيرى القلب والأعضاء، قد أنزلت مائدتي

إليّ .. إليّ

(1) صلاح عبد الصبور: مأساة الحلاج، ص: 445 .

(2) صلاح عبد الصبور: تذييل المسرحية، ص: 609 .

لنُطعمَ كسرةً من خُبزِ مولانا وسيِّدنا
إِلَيَّ إِلَيَّ، أَهْدِيكُمْ إِلَيَّ رَبِّي
وما يرضى به رَبِّي «⁽¹⁾

فقد جعل "صلاح عبد الصبور" الحلاجَ مسيحا ثانيا، تنزل عليه مائدة من
السَّمَاء تكون طعاما لأولهم وآخرهم من الجِيعاء وعابري السَّبيل، والفقراء
والمرضى.

ثم يسوق في موضع آخر حوارا بين الحلاج وأحد السَّجناء، يضيفي فيه
الحلاج على نفسه بعض ملامح المسيح، وهي قدرته على إحياء (الأرواح
الموتى) بالكلمات كما كان المسيح يحيي الأجساد، حيث يسأله أحد المساجين:
« أَمسيحُ ثانٍ أنتَ ؟

فيجيب الحلاج :

لا، لم أدركْ شأوَ ابنِ العذراءِ
لم أُعطَ تصرُّفَه في الأجسادِ
أو قدرتهُ في بعثِ الأشلاءِ
فقتنعتُ بإحياءِ الأرواحِ الموتى

فيعلّق السَّجين ساخرا :

ما أهونَ ما تقنَعُ به

فيقول الحلاج:

لم تفهمْ عني يا ولدي

(1) صلاح عبد الصبور: تذييل المسرحية، ص: 497.

فلكي تُحيي جسدا، حُز رُتبة عيسى أو معجزته
أما كي تُحيي الروح، فيكفي أن تملك كلماته ...»⁽¹⁾

وبذلك، يجعل الشاعر الحلاج مسيحا ثانيا، ثم يجعل نفسه مرة أخرى
ذاك المسيح، وبعلاقة متعدية، يجعل "صلاح عبد الصبور" نفسه حلاج هذا
الزمان الذي يحيي الأرواح بشعره كما أحيّاها حلاج الصوفية بكلامه، وكما
أحيا المسيح الأجساد بكلماته أيضا.

ويرجع الشاعر في الأخير ليسقط على الحلاج الدلالات نفسها التي
أضفاها شعراؤنا المعاصرون على حادثة الصلب، وهي بعث الحياة من جديد
في الرقات، فيورد الشاعر ما يرويه أحد الصوفية على لسان الحلاج:

« كان يقول:

إذا غسلتُ بالدماء هامتي وأغصني
فقد تَوَضَّأت وضوء الأنبياء
كان يريد أن يموت، كي يعودَ للسماء
كأنه طفل سماوي شريد

.....

كان يقول من يقتلني سيدخل الجنان

.....

لأنه أغاث بالدماء إذ نخس الوريد
شجيرة جديبة زرعها بلفظي العقيم

(1) صلاح عبد الصبور: تذييل المسرحية، ص: 497.

فدبّت الحياةُ فيها طالت الأغصانُ
 مثمرةٌ تكونُ في نهايةِ الزّمانِ
 خضراءَ تعطي دون موعدٍ بلا وأن⁽¹⁾

وقد كانت محنة الحلاج السياسية واحدة من محاور المسرحية، وقد حاول الشاعر أن يصور من خلال شخصية الحلاج معاناة صاحب الكلمة في المجتمع، ومعاناته مع السلطة، حيث تكون الكلمة دائما هي السيف والجلاد، ولا يستثنى "صلاح عبد الصبور" المجتمع من جريرة مقتل الحلاج، فيقول - تأكيداً للصورة الاجتماعية - على لسان المجموعة:

«مقدّم المجموعة : أقتلناه حقاً بالكلمات .. ؟

لا ندري، وإلَيْكُمْ ما كان

في هذا اليوم ..

المجموعة :

صفونا .. صفاً ... صفاً

.....

أعطوا كلاً منّا ديناراً من ذهبٍ قاني

برّاقاً لم تلمسه كفٌّ من قبل

قالوا : صيخوا .. زنديقٌ كافرٌ

صحنّا .. زنديقٌ .. كافرٌ

قالوا : صيخوا فليقتل إنّنا نحملُ دمه في رقبتنا

(1) صلاح عبد الصبور: تذييل المسرحية، ص: 457-458.

فليُقْتَلْ إِنَّا نَحْمِلُ دَمَهُ فِي رِقَبَتِنَا
قالوا : امضُوا فمضينا ⁽¹⁾

هكذا تستعين السلطة دائما بأشباعها لتتحي أعداءها، ولتند الكلمة المعارضة في رمال الحناجر.

وفي زمن الكبت، يلجأ الأدباء دوما إلى الرمز والاستخفاء وراء منارات المجاز المراوغة، والقول عبر الآخر، والتصریح التخيلي بمكنون الذات، وذلك ما فعله "صلاح عبد الصبور" حين كتب «مأساة الحلاج» التي لا تعدو أن تكون في واقع الأمر تعبيراً عن أزمة "صلاح عبد الصبور" ومأساته الخاصة، أكثر منها تعبيراً عن الحلاج وتجلياته التي لا تنتهي.

وقد رأى "صلاح عبد الصبور" في الحلاج شاعراً، لأنه كان يعتقد بشكل خاص أن الشعر هو طريق الخلاص، وهو ما يطمح إليه "صلاح عبد الصبور" - الشاعر -، فجعل الحلاج معادلاً للشاعر - لصلاح عبد الصبور - ومعبراً عن صوته الشعري الذي لا يملك إلا أن يكون مختلفاً.

ولكي تتأكد صورة المصلح الاجتماعي التي يتمازج فيها "صلاح عبد الصبور" مع الحلاج، ويتداخلان، كان لا بدّ من إلباس الحلاج ثوبا سقراطياً يعكس مزاج صلاح عبد الصبور، وصورة الشاعر / البطل عنده - فقد أقبل سقراط على الموت راضياً حتى تبقى الآراء الفلسفية التي ما فتئ يعبر عنها في سجنه الأخير، وهو ما عبّر عنه "أفلاطون" بروعة في محاوره "فيدون" -

(1) صلاح عبد الصبور: تذييل المسرحية، ص: 453-454.

الذي يفرض نفسه على الصّورة الحلاجية التي تعكسها مرآة "صلاح عبد الصّبور"، الذي سعى إلى عرض مأساته لا مأساة الحلاج.

ب - الشّعر:

كان التّراث الصّوفي ولا يزال من أغنى المنابع التّراثية التي استمدّ منها شاعرنا المعاصر شخصيّات وأصواتا ليعبّر من خلالها عن أبعاد تجربته في مختلف جوانبها السّياسية والاجتماعية، والروحية والفكرية. وليس ذلك مستغرباً لأنّ الصّلة بين التّجربة الشّعريّة - خصوصاً في صورتها الحديثة التي يغلب عليها الطّابع السّريالي - والتّجربة الصّوفية متينة، ذلك أنّ كلّاً من الشّاعر الحديث والصّوفي ينزع نحو الاتّحاد بالوجود والامتزاج به.

والدّليل على عمق الرّابطة بين الصّوفي والشّاعر هو أنّ كبار المتصوّفة عندنا من أمثال الحلاج، وابن عربي، ورابعة العدوية، وابن الفارض وغيرهم، كانوا شعراء كباراً، وقد استخدموا الشّعر في التّعبير عن كثير من جوانب تجاربهم الصّوفية.

لذلك، نجد الشّاعر المعاصر الذي أدرك هذه الرّابطة المتينة التي تربطه بالمتصوّفة، يعبّر عن ذلك الإحساس، ومن أبرز مجالات هذه الصّلة بين التّجربتين هو ميل كلّ من التّجربة الصّوفية والتّجربة الشّعريّة الحديثة إلى تجاوز الواقع وإلى تحقيق نوع من الاتّحاد بكلّ مظاهر الوجود.

وقد ربط "ماسينيون" شخصية الحلاج وحادثة قتله بشخصية المسيح عليه السّلام في صلبه، وذلك حين تحدّث عن الحلاج الذي وإن (كان يرى مع الجُنُود في التّجربة الصّوفية نوعاً من الاتّحاد بالله، فإنّه تجاوز الجُنُود

بونة للبحوث والدراسات، العددان: (10/9): يناير (جانفي) 2008م - كانون الأول (ديسمبر) 2008م

بخطوة، حيث ذهب إلى أنه من الممكن جدًا في مثل هذه الحالة اعتبار الصوفي إليها مجسّدًا، ويطبق الحلاج هذه الفكرة على شخصية المسيح وليس على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم - كما كان يُتوقع منه -.. وأنّ أسطورة موته توجّته بهالة من الجلال النادر، وتركت مجالاً لمقارنتها بقصة الصّلب المسيحية، التي ربّما كانت حاضرة في ذهن الحلاج وسط آلامه⁽¹⁾

ومن فرط حرص "ماسينيون" على إبراز هذا الجانب، فقد سمّى كتابه عن الحلاج « آلام الحلاج La passion d'El Hallaj »، وهو الاسم الفرنسي نفسه الذي يُطلق على آلام المسيح عليه السّلام .

وقد تأثّرت جلّ الأعمال الشعريّة المعاصرة التي استندت شخصية الحلاج بكتابات المستشرقين، وإلحاحهم على الجانب الديني والجانب السياسي من حياة الحلاج، حيث نجدها تركّز على هذين الجانبين، وتبرزهما، وتجعل منهما الملمح الأساس من ملامح شخصيّته، والمحور الذي تدور حوله حياته. كان أوّل من استلهم شخصية الحلاج في شعرنا العربي -حسب ما وقع بين يديّ من مراجع - هو "الأمير عبد القادر الجزائري" في إحدى قصائده التي تحدّث فيها عن الحلاج وسكره بخمرة الحبّ الإلهي ممّا أدّى به إلى الموت حين جهر بهذا الحبّ الذي جلّ عن الأفهام؛ غير أنّ "الأمير" اكتفى بذكره اسماً، ضمن عدد من الأسماء التي ذهب أصحابها ضحايا هدف أعيانهم تحقيقه :

(¹) Massignon (Louis) : Observations (sur Kitab El – Tawassin) ; Guethner; Paris , 1913 , p : 131.

« وذا قيسُ عامرٍ تخيلَ نورَنَا في ليلَى، فماتَ والهّا متحيراً

.....

وقد شربَ الحلاجُ كأسَ مُدَامَةٍ فكان الذي قد كان منه مُسْطَرّاً

.....

وما زال يسقيني ومازلتُ قائلاً له زدني ما ينفكّ قلبي مُسْعِراً ⁽¹⁾

وكأنّي بـ "الأمير عبد القادر" يهفو إلى أن يكون ممّن يتذوّقون هذا الحبّ، ويفنون في ذات المحبوب.

وقد يكون "عبد الوهاب البيّاتي" أوّل من استلهمه من الشّعراء المعاصرين في قصيدتين : « عذاب الحلاج » و « قراءة في كتاب الطّواسين للحلاج » ، وقد حاول "البيّاتي" في الأولى - التي استمدّ عنوانها من كتاب "ماسينيون" «عذاب الحلاج» وقسمها إلى جزأين: « 1 - المريد »، و « 2 - رحلة حول الكلمات » - أن يجعل نفسه في الجزء الأوّل، مريداً يسير على خطى الحلاج، غير أنّه لا يبصر الطريق، فقد تعرّف الشاعر على الحلاج بعد فوات الأوان، ولم يعد بإمكانه أن يتبع آثاره بعد أن طُمست كلّ المعالم:

« سقطت في العتمة والفراغ

تلطّختُ روحك بالأصباغ

شربت من آبارهم

(1) الأمير عبد القادر: الديوان، ص: 170.

أصابك الدّوارُ
تلوّثتْ يدَاكَ بالحبر وبالغبارُ

.....

يا ناحراً ناقته للجارُ
طرقتْ بابي بعد أن نام المغني
بعد أن تحطّم القيثارُ
من أين لي وأنت في الحضرة تستجلي
وأين أنتهي وأنت في بداية انتهاء»⁽¹⁾

هكذا يحاول الشاعر اقتفاء آثار الحلاج، لكنّه يجهل البداية بعد أن تاه الدليل، ونام "أورفيوس" الذي اطلع على بعض الحقائق عند هبوطه إلى العالم السفلي باحثاً عن زوجته يوريديس (في الأسطوريات الإغريقية) فمن سيؤثر على الآلهة بسحر عزفه لتطلعه على الحقائق، بعد أن نام المغني وتحطّم القيثار ؟. ويعود الشاعر في الجزء الثاني من القصيدة، ليكمل شكواه، فقد سطا الظلام على معالم الطريق، ولا سبيل إلى الاهتداء بعد أن داهم الطوفان كلّ السبل، وسُرقت كسرة الجوع الكادحين، ولا يزال الشاعر مسافراً، مرتدياً أسمال الفقراء الذين يعلّقون عليه الآمال الكبيرة ليحمل مظالمهم، فظلّ يطرق الأبواب الموصدة، ولا يلقى جواباً، وهو يتمنّى الموت مقتفياً آثار الحلاج:

(1) عبد الوهّاب البيّاتي: الأعمال الكاملة، ج2 ، ص: 9.

« ما أَوْحَشَ اللَّيْلَ إِذَا مَا انْطَفَأَ الْمَصْبَاحُ
وَأَكَلْتُ خَبْزَ الْجِياعِ الْكَادِحِينَ زُمَرُ الذُّنَابِ
وَصَائِدُو الذُّبَابِ
وخرَبْتُ حَديقَةَ الصَّبَّاحِ
السَّحْبُ السَّوداءُ وَالْأَمْطَارُ وَالرِّيحُ
وَأَوْحَشَ الْخَرِيفُ فَوْقَ هَذِهِ الْهَضَابِ

.....

يا مُسْكِرِي بَحْبِهِ
مُحِيرِي فِي قَرْبِهِ
يا مَغْلِقَ الْأَبْوَابِ
الْفُقَرَاءُ مَنْحُونِي هَذِهِ الْأَسْمَالُ
وهذه الْأَقْوَالُ
فَمَدُّ لِي يَدَيْكَ عَبرَ سَنَوَاتِ الْمَوْتِ وَالْحِصَارِ
وَالصَّمْتِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْجُذُورِ وَالْآبَارِ
وَمَزَّقِ الْأَسْدَافُ
وَلِيُقْبَلِ السَّيَافُ
فَنَاقَتِي نَحَرْتُهَا وَأَكَلَ الْأَضْيَافُ وَارْتَحَلُوا
.....»⁽¹⁾

(1) عبد الوهَّاب البيَّاتي، ج 2 ، ص: 11.

بونة للبحوث والدراسات، العددان: (10/9): يناير (جانفي) 2008م-كانون الأول (ديسمبر) 2008م

ويتحدّث في الثّانية عن الكلمة التي يدفع صاحبها رأسه ثمنا لتحديّه
السّلطان وسلطانّه، جاعلا كلّ ثورة أشبه بالصّراخ في الوادي أو النّفخ في
الرّماد، فلا حياة لمن تنادي، ولا من يُنصف صراخك أو يسمعه:

- 2 -

« من تحت مِسَلاتِ طُغاةِ العالمِ

من تحت رَمادِ الأزمانِ

من خلف القضبانِ

أصرخ في ليل القاراتِ، أقدم حبيّ قربانٍ

للوّحشِ الرّابضِ في كلّ الأبوابِ

- 3 -

أجيالٌ وقوافلٌ

أممٌ وممالكٌ

أهلكها الطّوفانُ»⁽¹⁾

كما استلهم "محمدّ مهران السيّد" من (مصر) شخصيّة الحلاج في قصيدة
«بدايات الأغاني: إلى فاطمة أمّي» من ديوانه «طائر الشّمس» يناجي فيها
أمّه الغضبيّ ويستعطفها، نافيا عن نفسه أن يكون حلاج الزّمان ليستحقّ
عقابها، ولا ذا النّون الذي ابتلعه الحوت لغضب الله تعالى عنه، فيجعل
الشّاعر من نفسه معادلا للحلاج، وذي النّون ليستحقّ هذا العقاب تكفيرا عن
تسبّبه في غضب أمّه:

(1) عبد الوهّاب البيّاتي، ج 2 ، ص: 366.

« هل أنتِ غاضبةٌ عليّ ؟ »

كم ألفُ زنبقةٍ أحمَلُها الودادَ، تعودُ ناقمةً إليّ
ما زلتُ أنفضُ عن مواجيدي الغبارَ، ليصدحَ الصوتُ العليّ
أنا لستُ حلاجَ الزّمانِ، ولستُ ذا النّونِ العتيّ
أخطو على دربِ اللّقا حذرًا .. فقبلي ضاع أكثرُ من فتّي
سلطانةُ العرشِ المجنّحِ في سما الجمرِ،
هل أمضي إلى الحتفِ المدوّنِ،

أم أسير إلى هزيم الرّعد، في القلب الغويّ ؟ »

هكذا غضبت كلّ الموجودات لغضب هذه الأمّ، فكيف يكفر الشّاعر عن
الذّنب لينال الرّضا ؟

كما استلهم "أدونيس" شخصية الحلاج في قصيدة « فصل المواقف »،
حيث يناقض "أدونيس" كلّ الأشياء، ويهدم - كعادته - ويبنى على أنقاض
الخرائب، ويهندس في الفراغ، ويكتفي بذكر الحلاج ضمن قائمة من الأسماء
التي ثارت وأحدثت ثورة ضدها، كالمنتبّي والمعرّي، والحلاج، والرازي،
والسّهروزي ..:

« هنا - في العُشبِ اليابسِ بين العرق والعرق

في الكرسي المغطّى بالليل

في كتبي هذه الشّعوبُ المريضة التي تتعاقق وتنام

حولي

أسافرُ

في الفراغ وهندسته - حيث أكتب وأقرأ : هنا يرقد أقليدس ..

حيث قُبِرَ المتنبّي في صوته
وعاش المعريّ تحت عينيه
حيث علّق الحلاج على خشبة في خريطة الروح
حيث الرّازي وجابر والسّهروردي وأصدقاؤهم يتكفّنون
بأصواتهم ويفرّعونها أكفانا ومقابر⁽¹⁾
كما استلهم "أدونيس" هذه الشّخصية أيضا في قصيدة « مرثية الحلاج »
التي يرمز فيها بالحلاج إلى خلود الكلمة الصّادقة المناضلة وانتصارها :
« ريشتك المسمومة الخضراء
ريشتك المنفوخة الأوداج باللهيب
بالكوكب الطّالع من بغداد
تاريخنا وبعثنا القريب
في أرضنا - في موتنا المُعاد »⁽²⁾
فالحلاج - عند أدونيس - هو أمل الشّعوب المقهورة، وهو من يجرأ
على الجهر بالكلمة في زمن الصّمت :
« لم يبقَ للاثين من بعيد
مع الصّدق والموت والجليد
في هذه الأرض النّشوريه
لم يبقَ إلا أنتَ والحضور »

(1) أدونيس: الآثار الكاملة، ج 1 ، ص: 236 - 237.

(2) أدونيس: الآثار الكاملة، ج 2 ، ص: 506.

يا لغة الرّعدِ الجليله
في هذه الأرضِ النّشوريه
يا شاعرَ الأسرارِ والجذورِ⁽¹⁾

وربّما يرجع سبب ذكر " أدونيس " لهذه الأسماء إلى كونه يرى نفسه واحدا من هؤلاء الأعلام الذين تكبدوا الآلام من أجل غاية، ومن أجل كلمة، أو يرى نفسه خليفة لهم، فهو الذي أحدث ثورة في العصر الحاضر، وهدم كلّ قديم، وبنى على أنقاضه، لذلك يتنبأ الشاعر بأنّه سيلقى مصيرهم، وأنّه سيدفع رأسه ثمنا لكلماته، كما دفع هؤلاء رؤوسهم ثمنا للكلمة الثائرة الدّاعية إلى التّغيير، لأنّ قراءة الواقع تقول بأنّ الوعي الجمعي في بعض المؤسسات النّقليدية لا يزال مسكونا بهاجس إقامة الحدّ المماثل على من تسوّّل له نفسه اتّباع خطى الحلاج في التّفكير في فضاء مفتوح، والتّحليق في آفاق حرّة، مهما كانت الرّوح عازفة عن رغائب.

وأما "معد أحمد الجبوري" فيرى الحلاج في قصيدة «بطاقة عبور»
ماثلا فيه، ثائرا في دمه، صارخا برأسه، فهو امتداد للحلاج، واستمرار لوجوده، وكأنّما قد بُعث الحلاج من جديد ممثلا في شخص الشاعر:

« مرّة .. بين المرأيا حاصروني
حفروا بالسيفِ صدري وجبيني
قبل أن أفقد ظلّي
نهض الحلاجُ في رأسي .. »

(1) المصدر نفسه، ص: 507 . السلطان وموائده وأعطياته.

رمى جُبَّتُهُ بين عيوني

فارتَمَيْتُ

ثمَّ عانقتُ بقايا جُنَّتِي

وتشظَّيْتُ على مِشْنَقَتِي

وأَتَيْتُ

بعد أن أصبح وجهي ..

مصحفاً في كلِّ بيت ⁽¹⁾»

فالشاعر حلاجٌ ينهض بيننا اليوم ليكمل ثورته من جديد، ويستعلي على المشنقة، ويسمو على السيِّف والسِّيف، ليصير له امتداد في كلِّ بيت. ومن مصر، يطلع صوت "فاروق شوشة" مستلهما شخصية الحلاج في قصيدة «بغداد يا بغداد»، وهو يبحث في شوارع بغداد عن شاعر أو مرشد أو مفكّر يعيد مجد العروبة الآفل، ويذكر بمآثرها العظيمة، وعن حكيم في زمن التَّيه والضَّلال:

«... أبحث عن هذا الحكيم

في زمن للتَّيه والضَّلال والنزق

لعلَّه الحلاج ..

أو لعلَّه الجاحظ ؟

أو أبو حيَّان ..

أو واحدٌ لا نعرفه

(1) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلد الرابع.

في موكب النفاق والخديعة اختنقُ
 أبحث عن هذا الحكيم
 لعلّه يعود بالضياء للحدقُ
 لعلّه يُنجي من الغرقُ
 من قبل أن ينهدم ذاك المسرح الكبيرُ
 وتنزل الستار ! »

فالحياة عند "فاروق شوشة" عبارة عن مسرح كبير، وكلّ الناس ممثلون يؤدّون أدوارهم على خشبة هذا المسرح، وقد يكون الحلاج واحدا من الممثلين، وربما أمكنه أن يعيد البسمة إلى الشفاه ولو في دور مسرحي متقن. ومن البحرين، يرتفع صوت الشاعر "قاسم حدّاد" في قصيدة « بيان قطاع الطّرق »:

« ... ولنا الخشبة التي من البصرة جاءت
 مطبولة بالسّيابِ ورسائله
 بالحلاج وأخطائه
 ولنا رماحُ الخليفة مخلوقة لنا
 لنا وحدنا »

هذا حديث قطاع الطّرق الذين تترصدّهم العيون، ويرون في خشبة الحلاج دليلَ ضعف، فلهم وحدهم الخشبة والخرقة، والخرافة والطّريق التي تهيم وتخدع، في زمن اللاّ قانون، وحدهم من يصنع القانون. ومن تونس، كتب "محجوب العيّاري" قصيدة « طقوس » التي يجعل فيها محبة الحلاج واحدة من التّهم التي يعاقب عليها القانون :

« متَّهمٌ أنتَ بحبِّ اللهِ
وحبِّ الخمرِ، والحلَّاجِ ..
وحبِّ المتنبِّي .
متَّهمٌ بولائِكَ للفقراءِ
وللغرباءِ
وكلِّ صعالِيكَ الدُّنيا .. »⁽¹⁾

فلا يزال اسم الحلَّاج في عصرنا هذا، وبعد قرون من قتله، سُبَّة في وجه السَّاسة، ورعدة تُثار في أوصالهم، وتزلزل عروشهم المتداعية تحتهم. كما يعلو صوت "أحمد بن بلمسك" من (موريتانيا) في قصيدة «السَّر» التي يناجي فيها محبوبته، ويرى فيها أثرا من آثار الحلَّاج، تُحدِّثه بروحه، فتلامسها، ليمسك بالوهم (وهم الحب) الذي يجعله بعيدا عن الإدراك:

« يا هجعة السَّر في قلبي يُسرِّدُها
بين الفراديس ظل ساهر العودِ
هلا تركت بساط الأرض ملحمةً
للعشق ينفخها مزمار داودِ
يا لمسة من يد الحلَّاج طافحةً
بالوجه سيلِّي على شُطانِ تسهيدي
فلم أزل ممسكا بالوهم أنفحه
من جذوة الغيب في صمت الأبايدِ
أمدٌ كفي لعلِّي أحتوي شبحاً

(1) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلد الرابع، ص: 122 .

لبلبل عن غياض الماء مصدود⁽¹⁾»

ثم وظّفها "فوّاز حجّو" في قصيدتين : « الصّعود إلى دم الحلاج »،
و«الشيخ الأكبر» ضمن ديوانه: « الصّعود إلى دم الحلاج »، فيفتتح
القصيدة الأولى بقول الحلاج: (أسرارنا بكر لا يغتصبها وهمّ واهم)،
فالحلاج الذي جعله الشّاعر يُبعث من جديد يثير رعب الكبار، فيُغري بكلّ
المغريات ليدع ما لكسرى :

« دع الفقراء، وكلّ الدّراويش في غفلةٍ يعمهمونْ

لا تؤلّب علينا الرّعاع

فلو شئتْ سقنا إليك نخيلَ العراق قطيعاً

ودع ما لكسرى لكسرى

وإن شئتْ أن تتعبّد قلنا لكلّ شعابِ الجبال :

هلمّي إليه وكوني له معبداً في الخلاء

بعيدا عن السّابله

.....

فقيم تجوس خلال البلاد، وتجرّحُ المنكرات ؟!

ومن أنتَ حتّى تشقّ عصا الانقياد ؟! «⁽²⁾

فحلاج الشّاعر صورة شبيهة بالرسول صلّى الله عليه وسلّم وقد عُرِضت
عليه مباحج الدّنيا ليترك هذا الدّين، فما تركه.

(1) معجم البابطين للشّعراء العرب المعاصرين، المجلّد الأول.

(2) فوّاز حجّو: الصّعود إلى دم الحلاج، ص: 9 .

كما استلهم شخصية الحلاج أيضا "محمد الفهد" في قصيدة « ما قال الحلاج صباحا » ضمن ديوانه « قصب على الشرفات » ، وقد أهدى هذه القصيدة إلى روح الفنان مصطفى الحلاج، إذ غدا فيها الحلاج مصلوبا على جرح الشاعر، ويرمي من صدرته أسماء، ويوصي الشاعر بأن يحيا وسط الحطام وأن يبني فوق الخرائب كي تزهر فلسطين من جديد رغم كيد الكائدين :

« أوصاني جدّي الحلاجُ
أن أزهرَ حتّى تضيقَ اللحظة،
أن أستهدي بالقلب الرؤيا،
ألا أمشي هذا المسعى
أن أسدل منّي سِتْرا يحميني
عليّ أجنبي من أنثى الكون
شروقَ حنانٍ »⁽¹⁾

ويردّ الشاعر على الوصية بأنّه اختار الأصعب، اختار المنفى الذي اختارته "العذراء" قبلا، حين اعتزلت الناس وآوت إلى ركن ركين، اختار الفناء لتخلد بلاده من بعده، اختار أن يحترق كي تزهر فلسطين :

« سأقولُ بأنّي اخترتُ اللّيلة
ما اختارتُ روحُ المنفى حين تضيقُ الرؤيا
سأقولُ بأنّي اخترتُ النّارَ الكُبرى
لأطهرَ فيها روحَ الأكوان

(1) محمد الفهد : قصب على الشرفات، ص : 143 .

اخترتُ حريقَ الأرضِ

فما عاد اليومَ لمريمَ غيرَ الظلِّ ضياءً⁽¹⁾

ومن الجرائر، استلهم هذه الشخصية كلُّ من "أحمد عبد الكريم" في قصيدة «إشراقية»، و"عيسى لحيلج" في قصيدة «فيض من أسرار الحلاج»، التي يرى فيها الشاعر نفسه، وقد استحال حلاج عصره، يلومه الجنيد (شيخ الحلاج) عن بوحه بالسرِّ الدفين، فيقدّم الشاعر فيضا من الحجج التي جعلته يخون العهد، ويسير على غير هدى شيخه، فيقول على لسان الحلاج: «قال الجنيدُ وقد رآني في الضحى فوق الصليبِ مضرّجا بدمي الشهيِّ كوردةٍ عذراءَ وشأها الخجلُ :

– (أَوَ لم ننهك عن العالمين ؟)

ما دخلُ روحكُ في انكساراتِ الظنونِ أو اختلالاتِ اليقينِ ؟
ما دخلُ روحكُ في عيونٍ لا عيونَ لها وأذانٍ صموتٍ ليس فيها غيرُ قرقرةِ
الظنونِ ..

ولدي لقد استودعتكُ البوحَ الأخيرَ لكي تصيرَ لكَ الجهاتُ بلا جهاتٍ،
والنقيضُ بلا نقيضٍ .. يا فتى لم بحثَ بالسرِّ الدفينِ
قد كنتَ عندي المُجتبى والصّادقَ الحرَّ الأمينَ ...⁽²⁾

(1) محمد الفهد : قصب على الشرفات، ص : 144.

(2) عيسى لحيلج: فيض من أسرار الحلاج، مجلة "النص والنّاص"، العدد 1

(جانفي، فيفري، مارس)، 2004 م، ص: 52.

بونة للبحوث والدراسات، العددان: (10/9): يناير (جانفي) 2008م - كانون الأول (ديسمبر) 2008م

ثم يردّ الشاعر على شيخ الحلاج (شيخه) فاضحا أدواء هذا العصر،
معرياً جرحه، كاشفاً له، ويرشّ الملح - في نهاية القصيدة - على الجرح،
ليصبح أكثر إيلاماً، فيقول:

« أشرعتُ صدري للنبال، وقلتُ للأنصارِ من خلفي: استعدّوا، إنّ ذا فصلُ
الخطابِ ..

فارتدّ صوتي مثلَ قهقهةِ المُجونِ أو الجنونِ ..

وإذا الذين تحصّنوا قدام وجهي يضحكون ..

فتلفتَ القلبُ الحرونُ إلى الوراء، رأيتُ أنصاري كأشأمِ أمةٍ، متترسينَ

وراء

سورٍ من خرابٍ ..

.....

ألقوا عليّ سؤالهم : - يا وغدُ ما حدُّ التّصوّفِ يا تُرى ؟

فأجبْتُهُم : حدُّ التّصوّفِ ما تُرى .. (1)

وأخيراً تناولها الشاعر "عبد اللطيف بن شهيدة"، باللغة الفرنسية، في قصيدة

: « عذاب الحلاج La Passion d'El Hallaj »، (2) التي يصوّر فيها

حادثة مقتل الحلاج في بغداد أمام مرأى الناس ومسمعهم.

والخلاصة، أنّ شخصيّة الحلاج كانت أوفى الشخصيات الصّوفية حظاً من

استلهاهم الشعراء العرب، وربّما يرجع الفضل في ذلك إلى كتاب "ماسينيون"

(عذاب الحلاج) الذي تناول فيه هذه الشخصيّة وما أحاط بها، وآثارها.

(1) عيسى لحيلج: المصدر نفسه، ص 53.

(2) Abdellatif Benchehida : L'Arabiade, Editions ANEP , 2002

ويظلّ الحلاج مصدر إلهام متجدّد للشاعر العربي على مرّ العصور، وربّما كان مصدرا للإلهام في هذه اللحظة التي أخطّ فيها السّطور الأخيرة من هذا المقال الذي حاولتُ أن أجمع فيه ما تيسّر من آثار أدبيّة، وفق ما توفّر لديّ من مادّة، علّ ذلك يكون بابا يُفتح أمام من يسعى إلى البحث عن بعض رموز تراثنا التي أضحت أساطير أدبيّة لفرط ما أثّر حولها من جدل أو ما أثارتّه هي من إثراء للأعمال الأدبية.

المصادر والمراجع:

- 1- ابن السّاعي: أخبار الحلاج، ضمن (الموسوعة الشّعريّة)، قرص مضغوط، صادر عن المجمع الثقافي، أبوظبي، 2003 .
- 2 - أدونيس: الآثار الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، 1971 .
- 3 - صلاح عبد الصّبور: مأساة الحلاج، المجموعة الشّعريّة الكاملة، الجزء 1، دار العودة، بيروت، 1998 .
- 4- عبد العزيز سعود البابطين: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسّسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، ط1، 1995 .
- 5 - عبد الوهّاب البيّاتي: الأعمال الكاملة، المؤسّسة العربيّة للدراسات، ج2.
- 6 - عدنان مردم: مسرحية الحلاج، منشورات عويدات، بيروت، 1971 ، التّوطئة .
- 7- عيسى لحيلج: فيض من أسرار الحلاج، مجلّة "النّص والنّاص"، تصدر عن قسم اللّغة والأدب العربي، جامعة جيجل، الجزائر، العدد 1 (جانفي، فيفري، مارس)، 2004
- 8 - فوّاز حجّو: الصّعود إلى دم الحلاج، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 2000.

بونة للبحوث والدراسات، العددان: (10/9): يناير (جانفي) 2008م - كانون الأول (ديسمبر) 2008م

9 - قمر كيلاني: في التصوّف الإسلامي - مفهومه وتطوّره وأعلامه - ،
دار مجلّة شعر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مطابع سميا، بيروت،
1962 .

10 - محمد عبد الحميد الحمد: الرّهينة والتّصوّف في المسيحية والإسلام،
الأوائل للنشر والتّوزيع والخدمات الطّباعية، دمشق، ط1 ، 2004 .

11 - محمّد الفهد: قصب على الشّرفات، منشورات اتحاد الكتّاب العرب،
دمشق، سوريا، 2005 .

12- Massignon(Louis) : Observations (sur
Kitab El – Tawassin -) ; Guethner Paris. 1913.